

الديكولونيالية عند "فرانز فانون"، أي فكر وأي نموذج لدولة ما بعد الاستعمار؟

Decolonial Thought in Frantz Fanon: What Kind of Thinking and What Model for the Postcolonial State?



د. أوشريف ضياء الدين

جامعة علي لونيسي البليدة 2، (الجزائر)

oucherif_diaa@hotmail.com

تاريخ الارسال: 2025/10/08 تاريخ القبول: 2025/12/17 تاريخ النشر: 2025/12/28

ملخص:

يبحث الموضوع في "مجال دراسات ما بعد الاستعمار" و الديكولونيالية "، التي تحاول التأسيس لنموذج معرفي خارج الأطر الفكرية الغربية والبارديغم الذي وضعه الاستعمار لدراسة الظواهر الاجتماعية والإنسانية؛ المفكر "فرانس فانون" Frantz Fanon " وباعتباره أحد رواد هذا الاتجاه، مثلت آراءه وكتاباتاته حول مواضيع حول الشعوب الخاضعة للاستعمار، الثورة، الثقافة، الأمة، الدولة، الاقتصاد.... نموذجاً يتأسس عليه مفكري هذا المجال في إفريقيا وأمريكا اللاتينية خاصة. تساؤلات فانون حول بناء الدولة بعد الاستقلال يستدعي منا الغوص في أفكاره التي جسدها في عديد الكتب التي يمكن اعتبارها حلقات متواصلة تضطلع بالقضايا المصيرية لشعوب دول العالم الثالث.

الكلمات المفتاحية:

الديكولونيالية، ما بعد الاستعمار، فرانز فانون، دولة ما بعد الاستقلال

Abstract :

The topic falls within the **field of postcolonial and decolonial studies**, which seek to establish an epistemological model outside Western intellectual frameworks and the paradigm imposed by colonialism for the study of social and human phenomena.

The thinker **Frantz Fanon**, as one of the pioneers of this movement, offered through his reflections and writings on colonized peoples, revolution, culture, nation, state, and economy, a **foundational model of thought** for scholars in this field, particularly in Africa and Latin America.

Fanon's questions about state-building after independence invite us to delve into his ideas, expressed in several works that can be regarded as **interconnected contributions** addressing the vital issues faced by the peoples of the Third World.

Keywords: Decoloniality, Postcolonialism, Frantz Fanon, Post-independence State

مقدمة:

يعد فرانز فانون من أبرز مفكري القرن العشرين اللذين تناولوا مسألة نزع الاستعمار وتصفيته؛ في حين أن التعرض للمفهوم علمياً ونظرياً فقد تعددت تسميات المداخل التي تبحث في الموضوع ، وهو ما تم التعبير عنه بدراسات الديكولونيالية " Etudes decoloniale ، ودراسات ما بعد الاستعمار Etudes postcolonial وهي محاولات قام بها مجموعة من المفكرين لتجاوز التفكير والحكم الغربي المسبق والجاهز للوضع داخل البلدان الخاضعة والتي خضعت للاستعمار، والتي تفيد بان هذا الأخير هو أداة للانتقال بالشعوب المستعمرة من حالة الفوضى إلى حالة الحداثة ، أيضا إلى فاعلية النموذج الثقافي والاجتماعي والاقتصادي الغربي في الدفع بالإنسانية نحو الحضارة والتقدم!

تصورات "فانون" حول مفاهيم الاستعمار، الثورة، العدل، الاستقلال ساقها من تجاربه الطويلة بدءا من طفولته وصولا إلى حياته في الجزائر المستعمرة وعمله كطبيب للأمراض النفسية والعقلية في مستشفى بمدينة البليدة الجزائرية، إضافة لكونه شخص أسود البشرة يعيش تحت نظام الرجل الأوروبي ذو البشرة البيضاء؛ وبالتالي كان لتطورات الفعل الاستعماري والرد الثوري الجزائري أثر كبير في بلورة فكر فانون وجعله محط أنظار التيارات اليسارية والثورية العالمية سواء في إفريقيا وأمريكا اللاتينية أو حتى الأصوات الحرة في أوروبا.

إلى ذلك، قضية تصفية الاستعمار عند "فرانز فانون" هو حجر الأساس للذهاب نحو تشكيل فكر وطني جديد لبناء الدولة المستقلة، لكن التخلص من الاستعمار يستدعي حربه جملة من الشروط النفسية والعقلية بالدرجة الأولى، إضافة إلى مقتضيات العمل المسلح وترتيباته بالدرجة الثانية؛ فكتاباته مثل " معذبو الأرض " بشرة سوداء أقنعة بيضاء " لأجل الثورة الإفريقية " ... الخ تمثل مختبر وخارطة طريق فانون نحو التخلص من الاستعمار وبناء الهوية الوطنية الجديدة المستقلة عن تصورات " الآخر المستعمر".

وعليه، وعبر هاته المساهمة نحاول التعرض لمفهوم " ما بعد الاستعمار " كتيار فكري نشأ لتشخيص الآلة الاستعمارية والامبريالية؛ إضافة لرؤية فرانز فانون لمسألة " الديكولونيالية " ، وبعدها رؤيته لشروط بناء الدولة الوطنية ما بعد الاستقلال؛ وهذا انطلاقا من السؤال التالي : كيف أسس فرانز فانون لعملية التخلص من الاستعمار وبناء الدولة الوطنية ؟ ويندرج تحت هذا السؤال الأسئلة الفرعية الآتية :

- كيف نقرأ عملية " نزع الاستعمار " وماهي الأسس الفكرية التي تبني عليها؟
- ماهي ركائز تصفية الاستعمار عند فرانز فانون وماهي رؤيته لدولة الاستقلال

أولا: دراسات ما بعد الاستعمار، الديكولونيالية ، مفاهيم متقاطعة

كثير من الأصوات العلمية ترى أن التبريرات الفكرية لموجات الاستعمار الأوروبي الحديث تمثلت في الحداثة التي تأسست على أفكار عصر التنوير الأوروبي، والتي جعل البعض من روادها- اي الحداثة - من الحركة الاستعمارية ضرورة حضارية واقتصادية للشعوب لإخراجها من تخلفها وتسويق القيم الإنسانية

الجديدة ، ليتم تجسيدها فيما بعد عبر برامج التربية والتعليم داخل الدول التي خضعت للاستعمار ؛ الأمر الذي سيخلق لاحقا – حتى بعد الاستقلال- نخبا فكريا لا ترى في الموروث الثقافي الوطني والمحلي وسيلة للتقدم خارج النموذج المعرفي الغربي أو الكولونيالي! انطلاقا من هنا، تم التمييز بين نموذجين معرفيين متناقضين، غربي جعل من نفسه وصي على التفكير العالمي والإنساني، والثاني حمل أوصافا يبدو بها للوهلة الأولى انه لا يمكن له مقارنة الفكر الغربي، وما هو ما يصطلح على تسميته بالثقافة الشرقية، أمم الجنوب، العالم المتخلف، دول العالم الثالث...!

ما إن تهاوت الإمبراطوريات والنظم الاستعمارية، حتى بدأت الأفكار الوطنية بالظهور، وتدعو إلى ضرورة أن تحصل الدول المستقلة على مكانة في الساحة الدولية عبر نقد الموروث الاستعماري ومركزية الفكر الغربي؛ فرؤية الفكر الغربي لمفاهيم في السياسة، الاقتصاد، الانثروبولوجيا، التاريخ والحدود الجغرافية... كلها تعرضت للنقد من خارج الإطار المركزي للتفكير الغربي أي أوروبا وأمريكا بدرجة ثانية. (ن.شمنداد، 2017، ص185)

1. أصل النشأة والتعريف:

في ميدان العلوم الإنسانية والاجتماعية تتشابك المفاهيم والأطر، المتهم واحد دائما " الاستعمار " وسلطته المعرفية عن طريق تقسيم وتصدير " المعرفة والعلم " ! الأمر الذي أنتج تميها معرفي داخل الأمم والدول الغير الناتجة للعلوم وتسمياتها وأنساقها ! انطلاقا من هنا ، برزت الدعوة إلى ضرورة التأسيس لنموذج خارج ما هو موضوع منذ قرنين لتناول مواضيع ثقافية، سياسية، واقتصادية تحت مبرر الانعتاق من الاستعمار ، كيف ؟

نحن هنا للتمييز بين المصطلحات حتى يتم تسهيل دراستها واستيعاب خطابات أصحابها، خاصة وأنها كتبت بلغة – على الأقل – خارج اللغة العربية التي نكتب ونقرأ بها (عدا محاولات ادوارد سعيد الذي سنتحدث عنه لاحقا) ! لكن ما يجمع دراسات ما بعد الاستعمار Etudes post- coloniale والديكولونيالية (نزع ، تصفية ، تفكيك ..الاستعمار) Décolonisation هو الإقرار بالآثار الدائمة للاستعمار سواء أثناءه أو بعده، وتُولى أهمية خاصة لتأثير الأيديولوجية الاستعمارية على علاقات القوة /الضعف ، والتسلسلات الاجتماعية داخل المجتمعات الاستعمارية. (Laurence Gautier , 2024, P117)

إلى ذلك، برزت "دراسات ما بعد الاستعمار" Etudes post- coloniale في أقسام الأدب المقارن داخل الجامعات الأمريكية خاصة، فاتحة آفاقا جديدة فيما يتعلق بالإرث الاستعماري؛ بحيث كان كتاب "الاستشراق" للمفكر الفلسطيني الأصل "ادوارد سعيد" لسنة 1978 ، محاولة فكرية رائدة لتأسيس هذا المدخل ومناقشة صورة " الشرق " عند " الغرب " عبر الأدب والتاريخ وكل التناقضات التي يعيشها إنسان الشرق في نظر الآخر الغربي، سيما قضايا السلطة، الحرية، المرأة. ... (Laurence Gautier , 2024, P119)

فيتم بناء المفاهيم والدراسات هنا انطلاقا من الحقل الثقافي والأدبي الغربي ، ونقد التصورات الغربية للشرق في هذا المجال ، عبر مجموعة من الأدوات المنهجية على رأسها ما أطلق عليه لفظ " الاستغراب "

وهي دعوة أمم الشرق لدراسة الغرب دراسة شاملة وواسعة لمرتكزاته الفكرية انطلاقاً من الثورة العقلية التي عرفتها أوروبا في قرون النهضة، وهذا من أجل مواجهته باستشراف مضاد. (جميل حمداوي، 2018، ص 58)

من جهة أخرى، تيار وتعبير "الديكولونيالية" (études decoloniale ، Décolonisation) ظهر لأول مرة في مناطق أمريكا اللاتينية ابتداءً من 1990، بحيث تختلف منطلقاته عن تلك التي تحوزها دراسات ما بعد الاستعمار التي ظهرت في الولايات المتحدة. ينطلق هذا التيار من افتراض أساسي هو أنه على الرغم من تحقيق الاستقلال السياسي للعديد من البلدان، فإن علاقات القوة لا تزال قائمة اليوم بين الدول الكبرى والمستعمرات السابقة، وأن بلدان المحيط (الجنوب) تظل في وضع التبعية الشاملة من خلال المؤسسات الدولية كصندوق النقد الدولي أو البنك الدولي وغيرها من المنظمات الأخرى.¹

(<https://www.ritimo.org/Qu-entend-on-par-pensee-decoloniale>).

وعليه، يمكن القول أن "دراسات ما بعد الاستعمار" التي ظهرت في الولايات المتحدة الأمريكية دعت إلى الانعتاق من هيمنة الغرب انطلاقاً من تتبع مسار المعرفة الغربية عبر دراسة الحداثة والتسلح بمقوماتها الفكرية، للقدرة على نقدها فيما بعد ونقد تصورات الغرب للآخر الشرقي والجنوبي؛ في حين تنزع "الديكولونيالية" عن الحداثة صفة العلم والمعرفة، وتنعتها بحاملة الاستعمار وموطن العنصرية الغربية التي قام عليها النظام الرأسمالي الحالي، لذا وجب على أمم الجنوب بناء المعرفة خارج كل المكتسبات المعرفية التي خلفها الاستعمار في أوطانهم.

2. المنطلقات، المرتكزات، وإنتاج المعرفة

كما أسلفنا، تتفق "دراسات ما بعد الاستعمار" و "الديكولونيالية" - دراسات تفكيك الاستعمار - على ضرورة تجاوز الظاهرة الاستعمارية، لكنهما تختلفان من حيث الأدوات المعرفية التي تقوم عليها، وعلى المنطلقات الواجب الاعتماد عليها في تجاوز المعرفة الاستعمارية وخطاباتها تجاه الآخر.

نظراً لظهور دراسات ما بعد الاستعمار في الوسط الأكاديمي الغربي، لم تقنع العديد من دعاة الاستقلال الشامل في أمريكا اللاتينية، لأنها حسبهم أبقت على مركزية "الإنتاج العلمي" للشمال؛ في حين يدعوا مريدو تفكيك الاستعمار على ضرورة "إنتاج المعرفة من الجنوب" وتصديرها للعالم، تفكيك الحداثة تفكيكاً شاملاً بدل نقدها، وإعطاء الأولوية للثقافات المحلية بأن تكون الإلهام الأول من أجل البناء والتشييد. (احلام مصطفى، <http://bit.ly/47quPr3>)

تنطلق دراسات الديكولونيالية من العلوم الاجتماعية (علم الاجتماع، الأنثروبولوجيا والاقتصاد) في أمريكا اللاتينية، بحيث تختلف في سياقها التاريخي واللغوي عن نظيراتها الناطقة والمكتوبة بالانجليزية والفرنسية، وتتأسس على المرتكزات الماركسية وتسير على خطى الراديكالية الثورية في هاته المنطقة. (Capucine BOIDIN وبالتالي، رؤية فكر "تجاوز الاستعمار" في أمريكا اللاتينية وبحر الكاريبي تتمثل

بالتحديد في إعادة صياغة نظرية ما بعد الاستعمار بالاستناد على جذور تاريخ السكان الأصليين للقارة الأمريكية.

(Corinne Mencé et Cécile Bertin, 2018, p85)

يستلهم رواد "دراسات الديكولونيالية" من حركات الفكر النقدي المؤثرة في أمريكا اللاتينية وإفريقيا ، ولا سيما فلسفة التحرير ونظرية التبعية؛ ويصرّون على حقيقة أن الاستعمار والحدثة متلازمان ، وتؤكد محاولاتهم أن التوسع الأوروبي كان مرتبطاً منذ البداية بالتوسع الرأسمالي وما يقدمه من نموذج إنساني غربي قائم على الهيمنة البيضاء .

فالرأسمالية تقوم على تقسيم العمل الذي يتوافق في الوقت نفسه مع تقسيم عرقي أين تسيطر الشعوب الغربية البيضاء على رأس المال، بينما تجد غالبية الشعوب غير الغربية نفسها مقتصرة على قوتها العاملة؛ لذلك تولي الدراسات الديكولونيالية اهتماماً أكبر للأبعاد الاقتصادية والاجتماعية للقوة الاستعمارية/الحدثة (Laurence Gautier , 2024, P120)

في حين ، تحاول "دراسات ما بعد الاستعمار" التي تأسست في الولايات المتحدة الأمريكية على وضع الغرب والشرق أمام مجهر المقارنة إن صح التعبير ! ورصد التطور التاريخي لعلاقتهم سواء بالإيجاب أو السلب أي التسامح والتعاون أو الصراع والتنافس! على كل، تركز اهتماماتها على مواضيع دراسة ومواجهة التغريب، تفكيك الخطاب الاستعماري ، علاقة الأنا بالآخر ، النقد الذاتي، فحص ودراسة تجربة الغربية والمنفى....الخ (جميل حمداوي، 2018)

ثانياً : "فرانز فانون"، تصفية الاستعمار وبناء الدولة ، كيف ؟

"جزر المارتينيك"، "البشرة السوداء"، "الجزائر والثورة"... كلها تشير إلى ميلاد فكر مناهض للظلم والاستغلال جسده "فرانز فانون" (1935-1961) ؛ فرنسي الجنسية ألهمته الثورة الجزائرية فانظم إليها بعد تجارب شخصية مع الظلم، سيما مركزية الأبيض الأوروبي وحملاته الاستعمارية في إفريقيا وآسيا. من تجربته مع المقاومين الفرنسيين في مواجهة النازية، مرورا بتجربة دراسة الطب في ليون الفرنسية، ودراسة علم النفس والفلسفة، وصولاً لعمله في مستشفى البلدية بالجزائر ، كلها كانت فاصلاً في أن يؤسس فانون لفكر خاص به ويلهم به الشعوب الغير بيضاء الزنجية خاصة؛ فكان كتاب "بشرة سوداء أقنعة بيضاء" انطلاقة رفض الخضوع التلقائي للمستعمر.

سوف لن نخوض في بيبليوغرافيا خاصة بالراحل فرانز فانون بقدر ما نحاول فحص ودراسة رؤيته لعملية تفكيك الاستعمار وبناء دولة الاستقلال ؛ الأمر الذي يقودنا قراءة البعض من أعماله أو ما كتب عنه من طرف عدد من المفكرين في شتى أنحاء العالم، خاصة مريدي تيار الديكولونيالية ودراسات ما بعد الاستعمار.

1.البشرة السوداء، الثقافة، العنف والثورة

بداية فرانز فانون مع الفكر الثوري كان بتقديم ثقافة وهوية الزنوجة- أي كينونة الإنسان ذو البشرة السوداء - للقراءة بعيداً عن ما تقدمه الرأسمالية والإقطاعية البيضاء؛ فكانت خدمة فانون في

الجيش الفرنسي لمحاربة النازية التجربة المفجرة لفانون الثائر ، بحيث لاحظ انه وعلى الرغم من خوض الجنود السود الحرب جنبا إلى جنب مع نظرائهم البيض من أوروبا، فإنهم لا يلقون نفس المعاملة، إضافة إلى عزل المهاجرين القادمين من إفريقيا إلى فرنسا في أحياء خاصة بهم على أساس الانتماء العرقي والجغرافي، فكان كتاب " بشرة سوداء أقنعة بيضاء " الصادر سنة 1952 أول عمل له لتوعية الشعوب الإفريقية ذات البشرة السوداء، بضرورة تغيير الصورة النمطية الموضوعة لهم والتي تعيقهم من الخروج من سيطرة الثقافة البيضاء وضرورة التمثيل بها لإبراز التقدم والتحضر. (سلاماني نادية وبن شوش محمد، 2023، ص 248)

إلى ذلك، جاء الكتاب في سبعة 7 فصول ، حيث بدا فرانز فانون بتقديم لغة السود ، علاقة المرأة السوداء بالرجل الأبيض والرجل الأسود بالمرأة البيضاء، فيقول " الأسود له تصرفين ببعدين، واحد مع مثيله واخرى مع الابيض، فهو لا يتصرف معهما بشكل مماثل! فهذا التصرف هو النتيجة المباشرة للاستعمار!...الأسود المارتينيكي سيصير أكثر بياضا عندما يتحدث بالفرنسية، الإنسان الذي يمتلك اللغة يمتلك العالم الذي يعبر بهذه اللغة...." (Frantz fanon,1952,p37)

بهذا الوصف ، يغوص فانون في نفسية الرجل الأسود الذي تهيئ للمستعمر طمس الثقافة المحلية، فهو يدعو الشعوب المستعمرة إلى التخلص أولا من العقد النفسية التي تلازمهم عند اللقاء بالأمم الأخرى وبناء الثقافة والاعتزاز بها، والتي تحميهم من الولاء للعالم الأبيض نتيجة اللاوعي المتراكم عبر التاريخ؛ بالتالي يعتبر فانون أن العامل النفسي المركب الذي تحوزه الأمم الخاضعة للاستعمار، وهو الشعور بالدونية أمام المستعمر تمثل أولى العوامل التي يجب التخلص منها لاستعادة الثقافة والهوية تمهيدا للثورة وبناء الدولة الوطنية.

إلى ذلك ، أهم ما يميز الحركات اليسارية هو جعلها ل " الثقافة " منبع العمل التحرري، أي إظهار الاختلاف كوسيلة للانعقاد من السيطرة الاستعمارية الشاملة. فرانز فانون يرى بضرورة ربط المشروع الثقافي بالمشروع التحرري، وحججه في ذلك أن الاستعمار وبمجرد دخوله يعمل على طمس ومحو الذاكرة الجماعية للشعوب الأصلية، تغيير اللغة والدين، والتضييق على ممارسة التقاليد والأعراف، تمهيدا لنزع الإحساس الجماعي بوجود الأمة.

(زهير الخويلدي، <http://bit.ly/4nJHfiE>)

في مقال نشر على موقع " جمعية فرانز فانون " Fondation Frantz Fanon ، كتب المناضل الكيني فيروز مانجي Firoze Manji حول دور الثقافة في تأجيج الصراعات في وقتنا الحالي ، حيث صرح بان إفرزات عصر التنوير تمثلت في الليبرالية والديمقراطية ، والتي أعيد إنتاج اديولوجيتهما بتفوق ثقافة رأس المال الأبيض في مناطق العالم؛ وفوز "دونالد ترامب " بالرئاسة الأمريكية وتعيينه حاشية يمينية، مرده تعبير عن الاستياء والعداء لدى نسبة كبيرة من البيض الأمريكيين لما يعتبرونه غزو وتدنيس ل " مكتسبات الديمقراطية " من طرف السود واللاتينيين، والمثليين والمهاجرين.....، وجميع ممن لا ينتمون إلى

الإرث الحضاري والثقافي الأبيض، مما يجب تجريدهم من امتيازات العالم الفضاء الليبرالي المقدس وإعادتهم إلى عالم اللانسانية! الأمر الذي سيؤدي إلى مقاومة لهذه المحاولات وان الثقافة ستلعب دورا محوريا في ذلك. (، url.me/MdSHta, Firoze Manjj)

بالعودة إلى الوعي التحرري وضرورة تصفية الاستعمار ، آخر كتاب نشر قبل وفاة فرانس فانون في 1961 كان عنوانه "معدبوا الأرض" Les Damnés de la Terre ، فيه توجه فانون الى الشعوب المستعمرة ، وعن عنف الاستعمار وعنف الاستقلال؛ وكان هذا بعد تجربة ثورية مع جبهة التحرير الوطني الجزائرية في تونس، بحيث حذر من تراجع مشروع استرجاع السيادة الوطنية لدى الحركات التحررية الوطنية؛ الكتاب يحتوي على فصل معنون ب " في العنف " الذي يحاول من خلاله الإجابة عن سؤال نجاح التحرر ووضوح فكرته لدى الحركات الثورية، وأيضا حول طبيعة القوى التقدمية التي تتولى مهمة الدفاع والعنف التحرري .

(Alice Cherki 2009,p-p 244-245)

يقول : "...إنهاء الاستعمار هو التقاء قوتين متضادتين فطريا....،...إن عنف النظام الاستعماري الذي مارسه على أشكال الأنظمة الاجتماعية الأصلية من مرجعية للاقتصاد، المظهر واللباس،...كل هذا سيتم دفنها في الأرض او طردها من الإقليم...." يعود ويقول " ...في المناطق التي اندلع فيها نضال حقيقي من اجل التحرر من الاستعمار، في المناطق التي سال فيها دم الشعب، في المناطق التي أتيح فيها الفرصة للمثقفين أن يلتحقوا بالقواعد الشعبية، نشاهد استئصالا حقيقيا للأفكار البرجوازية الاستعمارية.. " (Frantz fanon , 2002, p-p39-54

يتحدث فرانس فانون عن العنف كثيء مرادف للثورة على استرداد الحقوق المسلوبة ، وبالتالي إعطائه نوع من الشرعية القانونية؛ خاصة وان أعمال جبهة التحرير الوطني خاصة في المدن الجزائرية الكبرى لطالما تم وصفها من قبل السلطات الاستعمارية على أنها أعمال إرهابية ، وهذا من اجل إقناع الرأي العام الدولي بعدم شرعية ما تقوم به خلايا جيش التحرير الوطني. مع العلم أن كتاب "معدبوا الأرض" تم منع صدوره في فرنسا سنة 1961 بحجة انه يمجّد العنف والتخريب.

في كتابه "فرانس فانون والثورة الجزائرية" كتب المؤرخ والدبلوماسي الأسبق محمد الميلي أن فانون وجد ضالته في المواجهات بين جيش الاستعمار وجيش التحرير الوطني ، بحيث ما كان خيالا بالنسب له أصبح حقيقة مع تطورات الثورة الجزائرية التي حددت معالم الطريق الإفريقية للتحرر والوحدة ؛ فكان اتصال فانون بإفريقيا عندما عينته جبهة التحرير الوطني عضوا ضمن الوفد الجزائري في المؤتمر الإفريقي لسنة 1958 المنعقد في غانا ، وتعرف على زعماء حركات التحرر الإفريقية كنكروما ولومومبا.(محمد الميلي ، 2007، ص25)

علاقة ورؤية فانون للثورة في إفريقيا ترجمه في كتابين "من اجل الثورة في إفريقيا" و "العام الخامس للثورة الجزائرية" ؛ ففيهما يتحدث عن خيار العمل المسلح كآلية وحيدة للتحرير بعيدا عن العمل السياسي والحوار مع الاستعمار ؛ كذلك يرى في سبيل الوحدة الإفريقية كمشروع قاري يمنح للقارة المكانة

الأممية التي تستحقها، سيما وان روح التضامن بين الثورات التحررية في إفريقيا منح لها أرضية الوحدة المشتركة.

يضيف محمد الميلي بان خاصية الثورة الجزائرية أنها منفتحة على قضايا التحرر في العالم وإفريقيا فعلى حد تعبيره فهي " تحمل بدور الأممية " ، فعندما انضم إليها فانون فقد غادر المعسكر والفكر الأوروبي نهائيا ، وفيها اكتشف دور التاريخ ، دور الثقافة الوطنية، ومركزية الصمود في نجاح المشروع التحرري؛ خاصة وان عهدت له الثورة الجزائرية بمناصب اتصالية بحركات التحرر في إفريقيا. (محمد الميلي ، 2007، ص26)

بالتالي ، يمكن القول أن فكر فانون التحرري وتوصياته للشعوب الإفريقية للانعتاق من الاستعمار صاغها من تجاربه مع الثورة الجزائرية، أولا كطبيب نفسي حيث شغل الفكر الاستعماري على انه حالة مرضية تصيب الشعوب المضطهدة ، وأعطى في ذلك حججه العلمية والتجريبية. أما الخبرة التي اكتسبها في عمله مع جبهة التحرير الوطني جعلت منه الرجل السياسي الذي حاول التأثير في الفكر السياسي الإفريقي بجعله في مقدمة الأفكار العالمية التي تلمهم الشعوب لبناء دولها من جديد بعيدا عن التصورات الموضوعة لها من قبل الاستعمار.

2. في البناء الوطني لدولة الاستقلال :

يقوم فكر فرانز فانون أساسا على فك الارتباط الكلي بالاستعمار ، الارتباط النفسي ، الفكري، الاقتصادي والسياسي ؛ فقلبه عن الاستعمار على أنه تعطيل " المسار العصبي الجماعي " للشعوب المستعمرة ، يقصد به تقييد الوعي الجماعي وحبس قدرته على التفكير الوطني والمستقل ، مع العلم أن كل أفكار فانون بخصوص حالة الشعوب النفسية والعصبية ، نزع الاستعمار والثورة، الوطنية، بناء الدولة بعد الاستقلال الخ صاغها بعد تجربته في الثورة الجزائرية كمناضل وسياسي في صفوفها.

اديولوجية فانون وتوجهه السياسي لا يظهر كثيرا في كتابه " بشرة سوداء أقنعة بيضاء " (والذي هو عبارة في مجمله عن تشخيص علمي ونفسي للمستعمر والشخص الأسود)، وانما تتجلى في كتابه " معذبو الأرض " أين يتحدث كمناضل في جبهة التحرير الوطني الجزائرية ، بالإضافة الى كتاب " العام الخامس من الثورة الجزائرية " أين يتحدث عن مكونات الشعب الجزائري ، الخطط الاستعمارية للجيش الفرنسي ، الأوروبيون في الجزائر، بالتالي هو تقديم الجزائر لمن لا يعرفها! (<https://urlr.me/wSnsdg>)

إلى ذلك ، لما تحدث فانون عن تصفية الاستعمار ، تناول مرحلتين، مرحلة الكفاح المسلح ومرحلة بناء الدولة بعد نهاية الاستعمار ؛ هاته المرحلة توجه فيها إلى النخب التي ستقود الدول بعد خروج الإدارة الاستعمارية ، وبالتالي يولي اهتماما خاصا للنخب المحلية والتي يصفها بـ " البرجوازية الوطنية " ، وهو ما يقود حول التساؤل حول كيفية بناء الدولة الوطنية؟! بشكل عام البناء السياسي والاقتصادي لدولة الاستقلال، يبقى معضلة وطنية في وجود عدد من الحواجز التي تعرقل سير الدولة الفتية في إفريقيا ويعطل مسار تصفية الاستعمار حسب فرانز فانون. (Boris Lukić)

أ. البرجوازية الوطنية، النموذج والمهام

تعبير " البرجوازية الوطنية " خاصة "فانونية" إن صح التعبير ، فهو يشير بها إلى مجموعة من الفئات الاجتماعية التي تحتل مواقع خاصة في التسلسل الاجتماعي، والتي تتركز فيها مجموعة من العيوب والتشوهات التي تهدد مستقبل الدول الحديثة العهد بالاستقلال ؛ فهي ترغب بالاستيلاء على السلطة بعيدا عن الأهداف الكبرى لثورات التحرير(Mustapha Heddab,2004, p33)

" داخل الأحزاب السياسية ، يظهر رجال الثقافة المستعمرون ، بالنسبة لهؤلاء الرجال استعادة الثقافة الوطنية وتأكيد وجودها يمثل ساحة معركة مميزة، فبينما يسجل السياسيون افعالهم في الواقع، يضع رجال الثقافة أنفسهم في إطار التاريخ..... هذا الشغف المتفان ينسجون بشكل فردي أن نفسيتهم، ذاتهم، تختبئ بشكل ملائم وراء ثقافة فرنسية أو ألمانية أثبتت نفسها ولا أحد ينازعها..." كان هذا ما كتبه فرانز فانون في فصل " حول الثقافة الوطنية " في كتاب "معذبو الأرض"، حول شكل النخب السياسية التي ورثت الحكم بعد ذهاب الاستعمار ، بحيث يضيف قائلا " منذ فترة معينة، وكما رأينا، كان هدف الأحزاب القومية وطنياً بحثاً. فهي تحشد الشعب حول شعار الاستقلال، وتترك الباقي للمستقبل. وعندما تُسأل هذه الأحزاب عن البرنامج الاقتصادي للدولة التي تطالب بها، وعن النظام الذي تقترح إقامته، فإنها تعجز عن الإجابة تحديداً لجهلها التام باقتصاد بلدها..."

(Frantz fanon , 2002, p-p 147-194)

يقدم فانون تعريفا لما يُشكل البرجوازية الوطنية وكيف تُعرّف نفسها من خلال هويتها وعلاقتها بالسلطة، ويقول عنها "البرجوازية الوطنية التي تتولى السلطة في نهاية النظام الاستعماري هي برجوازية متخلفة. قوتها الاقتصادية تكاد تكون معدومة، وعلى أي حال، لا تشترك في مقياس قوة البرجوازية الحضرية التي تنوي استبدالها"؛ فهو يستخدم مصطلح البرجوازية الوطنية مكان النخب السياسية حيث ينفي عنها صفة الإمام باحتياجات الجماهير وعدم حصول الاتفاق عليها من قبل الطبقات الشعبية.

على الرغم من وصف فانون لعجز النخب الوطنية، بحيث يرى أن هذه المرحلة التي تميز الاستقلال عادة ما تمر بحالة من الفراغ، لا تحديث صناعي ولا تطور اقتصادي أو اجتماعي؛ ففي اللحظة التي يتم التخلص فيها على حد تعبيره من البرجوازية الوطنية ، والبدء من البداية وتمكين الجماهير من المبادرة السياسية والاقتصادية. (Boris Lukić)

أيضا، يضيف فانون "أن البرجوازية لا تملك الموارد المادية ولا الموارد الفكرية الكافية (المهندسون والفنيون)، فإنها ستقتصر مطالبها على الاستيلاء على المكاتب التجارية والبيوت التجارية التي كان يشغلها المستعمرون سابقاً؛ ستحل البرجوازية الوطنية محل السكان الأوروبيين السابقين، الأطباء والمحامون والتجار والممثلون والوكلاء العامون ووكلاء الشحن...." (Frantz fanon , 2002, p-p 147-194)

هنا يعطي وصفا لهاته البرجوازية التي وجدت نفسها أمام مرحلة تعويض المعمرين بعد الاستقلال ، وكأنه يعيب عنها عدم الاستمرار في الوظيفة الثورية التي من شأنها بناء الدولة الجديدة، بل وصل به الحد إلى أن وصفها بـ " حزام نقل للرأسمالية الغربية ووكيل أعمالها " لاعبة دور الاستعمار الجديد!

نقد فانون لهاته الممارسات الجديدة للنخب المحلية وأثارها الضارة، ويؤكد أنها تقوض أسس الاستقلال، وأعطى للسياسيين الجدد صفة رجال الأعمال! الأمر الذي يخلف التفاوتات الاجتماعية بين طبقات الشعب، تكاثر الامتيازات الخاصة، انتشار الفساد، وتدهور الأخلاق والقيم. (Boris Lukić)

من جهة أخرى لقد عاين عن كثب بصفته مبعوثا خاصا لحزب جبهة التحرير الوطني الجزائرية في إفريقيا، تحولات ما بعد الاستقلال في بعض الدول الإفريقية أين تم الحفاظ على نمط تسيير الاستعمار فيما يخص الثقافة، الفضاء العام، السلطة السياسية، و ثم الاقتصاد.

ب. في شكل الاقتصاد الوطني

في كتابات فرانز فانون، بناء الاقتصاد هو الركيزة الأساسية في دولة ما بعد الاستقلال، فهو الذي يجعلها في منى عن سيطرة القوى الامبريالية الكبرى، والتي جعلت من الإلحاق الاقتصادي لمستعمراتها السابقة، وسيلة لمواصلة الاستعمار ومنع الدول الجديدة من اكتساب كل عناصر القوة الاقتصادية والعسكرية الأمر الذي يمكنها من الحفاظ على سيادتها.

في موضوع متصل بالبرجوازية الوطنية أو النخب التي تولت السلطة بعد خروج الاستعمار، كان هدف الأحزاب القومية وطنيا بحثا حسب فانون، فهي تحشد الشعب حول شعار الاستقلال، وتترك الباقي للمستقبل، وعندما تُسأل هذه الأحزاب عن البرنامج الاقتصادي للدولة التي تطالب بها وعن النظام الذي تقترح إقامته، فإنها تعجز عن الإجابة لجهلها التام باقتصاد بلدها. (<https://algeria-watch.org/?p=62504>)

وصف الاقتصاد الجديد للدولة الإفريقية الحديثة العهد بالاستقلال بأنه غارق في هيكل الاستعمار الجديد، تغذيه القروض الغير سيادية التي يؤت بها من الدول الكبرى والتي تضاعف مطالها وتزيد من تنازلات الموظفون الحكوميون الجدد، الأمر الذي سوف يؤدي بالشعب إلى الفقر المدقع، وتغيب عملية توزيع الثروة بشكل عادل، الأمر الذي سيؤدي إلى مزيد من حروب الانقسام داخل حدود الدولة الوطنية. (Mokhtar Yahyaoui)، ففي نظرية فرانز فانون لما بعد الاستعمار، تم التمييز بين نوعين من الاختلالات الاقتصادية التي تمارسها النخب الحاكمة، وهما خصخصة الموارد الوطنية وغياب فكر الإنتاج والبناء؛ (بشير أبو منة).

إلى ذلك، يبيّن فرانز فانون آراءه الاقتصادية انطلاقا من دياكتيك تاريخي لمسألة الاستعمار؛ بمعنى أن اليد المحركة للاقتصاد الاستعماري كانت في المناطق الحضرية، الأمر الذي جعل من سكان المدينة يؤطرون نموذجا اقتصاديا لا يتماشى وظروف الدولة الناشئة، اقتصادا رأسماليا قائما على الاستغلال من جهة، ومن جهة أخرى تابعا في هيكلته لاستعمار الأمم؛ فهو يدعو دولة الاستقلال إلى التوجه نحو الريف للبحث عن البدائل عبر البديل الزراعي الموجه من قبل الدولة وشيوع الملكية، خاصة وأن الريف كان القاعدة الخلفية للعمل الثوري.

خاتمة

حاولت دراسات ما بعد الاستعمار والديكولوجيا على دراسة علوم الإنسان والمجتمع خارج الأطر المعرفية الغربية الأمريكية والفرنسية خاصة، فكان لكل من روادها على اختلاف أصولهم وقناعاتهم، الدور البارز في تصدير هذا التوجه الجديد في باقي العالم خاصة العالم الثالث. لكن، لحد اللحظة لم تتفق هذه المدارس فيما بينها على كيفية إنتاج المعرفة وفق براديغم خاص وموحد، وهذا نتيجة اختلاف ثقافة ومناطق ظهورها عكس نظيرها الغربي الذي اتفق على مسائل العقلانية، الحداثة، الليبرالية، الرأسمالية، الديمقراطية في كونها الموجه للحركة العلمية والسياسية والاقتصادية للدول الغربية.

يبدو أن المنطلقات التي تقوم بها كل مدرسة في مجال دراسات نزع وتصفية الاستعمار هي التي ساهمت في عدم توحيد الرؤى الكبرى من أجل حركة علمية كبرى داخل دول العالم الثالث، بين من تدعو إلى ضرورة دراسة شاملة ومسحية للارث الثقافي الغربي من الأنوار إلى الحداثة وهو الرأي الذي ينادي به مفكري المهجر في الولايات المتحدة الأمريكية وأوروبا، والتي لا تزال دول هاته المناطق من العالم تصارع نفوذ القوى الكبرى وتنادي بإنهاء مسائل التبعية، التدخل الداخلي في شؤون الدول، إنهاء التدخلات العسكرية الدولية، وبناء نظام دولي عادل عبر إصلاح هيكله الكبرى.

المفكر فرانز فانون وبعد تجاربه الكبرى في صفوف الثورة الجزائرية، وقبلها كطبيب للأمراض العصبية والنفسية في مستشفى البلدية في الجزائر، حاول دراسة المجتمعات المقهورة من قبل الاستعمار والاستغلال وكيف لعب النظام الاستعماري الفرنسي في إفريقيا بالخصوصية الثقافية المحلية ووجود الأمة وعناصر قوتها في نهاء الاستعمار.

إلى ذلك، محاولات فانون في دراسة ظاهرة الاستعمار بشكل شامل لم يثنيه في التطرق لبناء الدولة بعد الحصول على الاستقلال، التي جعل من العملية مسار تواصل للكفاح والثورة نتيجة تواصل الرغبة في الهيمنة من قبل القوى الكبرى خاصة عبر السيطرة وتقويض الاقتصاد الوطني، والعمل على ترسيخ وجود النخب الثقافية والسياسية الموالية.

من جهة أخرى، على الرغم من جودة آراء فانون خاصة وإنها جاءت لتدافع وترافع على قيم إنسانية في نبذ الحرب وترسيخ العدالة وإنهاء الاستغلال، إلا أن العديد من المفكرين اعتبروها من الناحية العلمية غير محصورة في قالب يمكن دراسي مواضيع الدولة، المجتمع والاقتصاد من الغوص بسهولة في آرائه والتي تستدعي من قارئها الارتكاز على مدخل متعدد التخصصات للتعرف على ما كان يقصده فانون في دراساته لظاهرة الاستعمار والشعوب الخاضعة له، حيث يغلب عليه التحليل النفسي للظواهر المتصلة بقضايا المجتمع والدولة.

لكن، الدعوة إلى ضرورة بناء الوعي الوطني الذي جسده كتابات فرانز فانون، كفيل بتغيير الرؤى والأفكار داخل دول العالم الثالث، وبناء النموذج السياسي التي تسير عليه للحفاظ على مكتسبات عقود من النضال والثورة داخل مناطق تواجد الاستعمار التقليدي والحديث على حسب تعبيره، سيما مسألة ولاء النخب الوطنية وتقنيات تسيير القضايا الكبرى للدول ذات السيادة.

قائمة المراجع

1. باللغة العربية

- ن. شمناد، "خطاب ما بعد الاستعمار في النقد العربي"، المعيار، العدد 17، جوان 2017.
- جميل حمداوي، "نظرية ما بعد الاستعمار الأطروحة في خدمة علم الاستغراب"، الاستغراب، عدد 12، صيف 2018.
- سلاماني نادية وبن شوش محمد، "تجليات الفكر الزنجي عند فرانز فانون"، مجلة المفكر، المجلد 7، العدد 1، جوان 2023.
- محمد الميلي، فرانز فانون والثورة الجزائرية، الجزائر: وزارة الثقافة، 2007.
- احلام مصطفي، "فلسطين في دراسات ما بعد الاستعمار: استقراء النظرية وإشكالات التطبيق"، من الموقع: <http://bit.ly/47quPr3>، تصفح يوم 2025-08-12
- زهير الخويلدي، "دور الثقافة في إنهاء الاستعمار"، من الموقع: <http://bit.ly/4nJHfIE>، تصفح يوم 2025-08-16
- بشير أبو منة، "قراءة فرانز فانون في زمن النيوليبرالية"، من الموقع: <https://bidayatmag.com/node/1420>، تصفح 8-22-2025

2. باللغة الأجنبية

- Alice Cherki, **Frantz Fanon : Portrait**, Alger : Mille-feuilles, 2009.
- Frantz fanon " **Peau noir, Masques Blancs**, France : Éditions du Seuil, 1952.
- Fanon, **Les Damées de la Terre**, Paris : Edition la découverte, 2002.
- Laurence Gautier, " *Approches post-coloniales et décoloniales*", **Catégoriser : Lexique de la construction sociale des différences**, Lyon : ENS Editions, 2024
- " *Frantz Fanon, de la révolte au nationalisme*", **Lutte de Classe**, N°249, Juillet – aoute 2025, du site: <https://urlr.me/wSnsCG>, consulté le 20-08-2025
- Mustapha Heddab, " *La violence et l'histoire dans la pensée de Frantz Fanon*", **Revue Algérienne d'Anthropologie et de Sciences Sociales**, N°25- 26, Vol 08, septembre 2004, P 33
- Corinne Mencé et Cécile Bertin, " *Approches de la pensée decoloniale*", **Archipélies**, Mai 2018, P85
- Firoze Manjji, " *Culture, pouvoir et résistance*", du site: urlr.me/MdSHta, consulté le 16-08-2025
- Mokhtar Yahyaoui, " *Nouveau millénaire, Défis libertaires, Méaventure de la conscience nationale / Omar Frantz FANON*", du site: <http://1libertaire.free.fr/FFanon28.html>, consulté le 21-08-2025
- Boris Lukić, " *Le « prospectivisme » de Frantz Fanon et la construction des États-nations africains : entre prédilections, critiques et mises en garde*", **Revue d'histoire de l'Université de Sherbrooke**, du site: <https://urlr.me/Jpb6Hw>, consulté le 20-08-2025
- " *Frantz Fanon, extrait de « Les damnés de la terre »: Méaventures de la conscience nationale*", du site: <https://algeria-watch.org/?p=62504>, consulté le 21-08-2025
- Firoze Manjji, " *Culture, pouvoir et résistance*", du site: urlr.me/MdSHta, consulté le 16-08-2025
- Capucine BOLDIN, " *Qu'est-ce que les « études décoloniales » latino-américaines ?*", du site: <https://www.ritimo.org/Qu-est-ce-que-les-etudes-decoloniales-latino-americaines>, consulté le 14-08-2025